



تفعيل سؤال النقد في الخطاب التربوي الإسلامي *Activating the Critical Question in Islamic Educational Discourse*

تونسية حموش

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

مخبر الجماليات والفنون والفلسفة المعاصرة

tounsia.hamouche@univ.alger2.dz

خيرة يوسف*

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

مخبر الجماليات والفنون والفلسفة المعاصرة

kheira.yousfi@univ.alger2.dz

تاريخ النشر: 15.03.2025

تاريخ القبول: 2025-01-04

تاريخ الاستلام: 2024-10-31

ملخص:

يعد سؤال النقد مُرتكزاً أساسياً في تنمية الخطاب التربوي الإسلامي، والحاجة إلى النقد تفرضها هشاشة المنظومة التربوية في تمظهراتها التعليمية، ولهذا يقوم بحثنا بتفعيل سؤال النقد كإصلاح لهذه الأزمة، محاولين بذلك رسم مسارات ممكنة التحقق نابعة من أصالة الفكر الإسلامي، تتماشى وتغيرات الراهن وتبشر بميلاد إنسان عربي جديد..

الكلمات المفتاحية: سؤال النقد. الأزمة التربوية. الهوية الثقافية. الإسلام التربوي. التجديد. الفعالية

Abstract:

The question of criticism is a central focus in the development of Islamic educational discourse. The need for criticism arises from the fragility of the educational system in its various manifestations. Therefore, our research seeks to activate the question of criticism as a solution to this crisis, attempting to outline feasible paths derived from the authenticity of Islamic thought, which align with current changes and herald the emergence of a new Arab human being.

Keywords: The Question of Criticism – Educational Crisis – Cultural Identity – Islamic Education – Renewal – Effectiveness.

1. مقدمة

يعد سؤال النقد دعوة صريحة لإعادة قراءة الواقع، وإحدى الآليات المهمة في تجديد الفكر الإسلامي وتفعيله داخل المشروع الحضاري، فبقدر ما يكون النقد مسائلة للراهن هو إرتقاء بالمجتمع نحو التغيير.

* المؤلف المراسل.

ومادام النقد يبحث في كل ما هو مضر حتى يصححه، فهو مطلوب في مناقشة الأزمة التربوية كمنهج تعليمي يحتوي على مفاهيم ثقافية مرتبطة بوعينا الجمعي، فهل سيكون سؤال النقد تجديدا لمشروع الخطاب الإسلامي التربوي؟ ما مدى إمكانية صناعة الوعي الثقافي من خلال تفعيل سؤال النقد؟ فيما تتمثل الأزمة التربوية؟ وكيف يمكن توصيف الأزمة من خلال نقدها؟ وهل النقد كفيل بتصحيح الخطاب التربوي الإسلامي؟

فرضيات الدراسة:

- وجوب استحضار سؤال النقد داخل الخطاب التربوي في المجتمع الاسلامي
 - تفعيل سؤال النقد يعد رقابة تنظيمية من أجل تحسين المناهج والتقنيات في المؤسسات التعليمية
- الدراسات السابقة: تمت دراسة الخطاب التربوي الإسلامي في العديد من الأبحاث السابقة التي تشكل مدخلا أساسيا للبحث في موضوعنا، ومن أبرز هذه الدراسات: دراسة شبار سعيد (2016) بعنوان "مختصر الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر" التي نُشرت في المعهد العالي للفكر الإسلامي بالأردن، وكذلك دراسة الزيدي طه أحمد (2016) تحت عنوان "مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي ومهاراته" التي نشرتها دار النفائس للنشر في بغداد.
- أهمية الدراسة: يكتسي الموضوع أهمية بالغة في محاولة تطوير المناهج التربوية الإسلامية من منطلقات نقدية بما يتوافق ومتطلبات العصر في مقابل تنمية التفكير النقدي لدى المتعلمين وإحداث التوازن بين الثابت والمتغير حيث النقد البناء يكمن في التوفيق بين القيم الإسلامية الثابتة والمتغيرات التقليدية، وتعزيز أفق الحوار والانفتاح والتشجيع على المشاركة المجتمعية بطريقة تعليمية.
- المنهج المتبع: اعتمدنا على المنهجين التاريخي والتحليلي لتوافقهما مع الإشكالية المطروحة ومحاولة تحليلها بما يخدم الموضوع المطروح.

خطة العمل:

- أولا. مؤسسات التربية الإسلامية
- ثانيا. خصائص النظام التربوي في الإسلام
- ثالثا. أزمة الفكر التربوي في الإسلام
- رابعا. التربية كروية فلسفية (محمد البشير الإبراهيمي ومالك بن نبي)
- خامسا. أفق التجديد التربوي وتفعيل القيم
- سادسا. مهمة سؤال النقد في الخطاب التربوي الإسلامي
- خاتمة الموضوع.

2. مؤسسات التربية الإسلامية

تعتبر التربية الإسلامية من بين الإشكالات العربية المطروحة ضمن سؤال التجديد والبحث عن النمو الحضاري والاهتمام بدور الإنسان الفاعل في إصلاح منظومة القيم، والحديث عن التربية هو البحث عن هوية ثقافية لضمان تنشئة صحيحة تحفظ ثوابتها.

ظهر الاهتمام بالتربية الإسلامية كرد فعل بعد ظهور فلسفات التربية في الفكر الغربي، بمسميات عديدة، شكلت العلمانية أبرز معالم هذه الفلسفات السريعة التأثير والتي أريد بها زعزعه خصوصية الثقافات وإدخالها في حيز التقنية والمادة، بالمقابل كان هناك تصدي ثقافي لها تميز برفضه التام لكل ما أفرزته الحضارة الغربية ويكتفي بالمرور الإسلامي كترية أصيلة تخص المجتمع العربي، وكحل وسطي لهذا الإشكال لابد من تبني الاختلاف والمغايرة وغيرها من المفاهيم كحل وسطي بين الخصوصية والكونية نريد به بلوره ثقافة إسلامية موحدة منفتحة على الآخر إفادة واستفادة، تأسس للتربية الواعية من خلال تنمية الشعور الجماعي للفرد المسلم، وحتى تقوم هذه التربية لابد من وجود مؤسسات تتكفل بذلك:

1.2. المسجد:

يعتبر المسجد منارة إسلامية تجسدت فيه الرؤية التوحيدية " ومركزا لخدمة الحياة الثقافية في المجتمع الإسلامي فضلا عن جوانب إدارية وسياسية"⁽¹⁾ فقد كان دار للتعليم ومقرا للإصلاح يؤمن فيه كل إنسان على نفسه، يحمل رسالة أخلاقية تضمن للمجتمع استقراره، وتؤمن استمراره، تذوب فيه كل الاختلافات، فالداخل إلى المسجد يزداد أدبا والخارج منه يمتلك علما.

كان المسجد رمزا للدولة ومصدرا للسلطة، يتخذ من التشاور منهجا ومن الاعتدال هدفا خصصه النبي ﷺ لتشكيل الأمة، وتتوحد القلوب على الكلمة، ولكن ما حاله اليوم؟

لمتأمل لكلامنا سابقا يدرك واقع المسجد كمظهر لضعف الأمة الإسلامية بعد أن كان مصدر قوتها، ولسنا هنا بصدد صياغة رؤية عكسية لما قلناه عن دور المسجد لأنه يظل مركز الإشعاع الحضاري للإسلام، المشكلة هنا تكمن في قيمة المسجد ودوره في تكوين الفرد المسلم، حيث المتغيرات التي طرت على الفكر الإسلامي أثرت على دور المسجد فلم يعد أكثر من مكان للتعبد، رغم ذلك نجده مزال مكافحا لتفعيل دوره التربوي والاجتماعي بآليات جديدة تعاصر واقعنا اليوم.

3.2. الأسرة:

الملاحظ للتربية عموما يجد أنها نشاط اجتماعي هادف، يتضمن إعداد إنسان للحياة وتفاعله داخلها، ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا من خلال المؤسسات الاجتماعية المتنوعة، والأسرة كمؤسسة أولية لها حظ التربية كحظ المسجد في التنشئة تعد بيئة خصبة في إعداد إنسان تضمن له هذه النواة الرعاية

(1) سال محمد رنا: التربية والتعليم في عصر الرسالة، ص 120

والعناية، فتتكون من خلالها ملامح شخصيته في مراحل عمرية متقدمة، وتتكون الأسرة من أفراد تجمعهم رابطة شرعية لها وظيفة تربوية، قائمة على الأخلاق والعادات والتقاليد المكونة للفرد.

4.2. المدرسة:

من أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية، تعد انطلاقة لتواصل الفرد مع المجتمع في مراحل عمرية صغيرة " كتكوين فكري اجتماعي تربوي لها وظائف وفعاليات وممارسات حيوية بالغة"⁽¹⁾، فهي تعمل على تهيئة الفرد الفاعل ونقل المعارف وتعلم العلوم، والحاجة إليها تكمن في صناعة الوعي ونشره وفق منهج تعليمي صحيح.

5.2. الإعلام:

سواءً كان مسموعاً أو مرئياً أو مقروءاً فهو وسيلة لها من تأثير ما يصنع الحضارة من جديد، حيث يعد الإعلام أفقاً ثقافياً والحاجة إليه ناتجة من اهتمام الأشخاص به فهو مشاركة إجتماعية ترتبط بصناعة الرأي العام والتأثير عليه "وما فرع التربية الإعلامية إلا أحد أوجه هذا التكامل في صناعة الوعي"⁽²⁾

ولهذا تشكل هذه المؤسسات منظومة متكاملة" ترابط مكوناتها وعناصرها ببعضها ببعض ترابطاً وظيفياً محكماً"⁽³⁾ أخذنا بعض منها لما لها من دور مهم في الفعل التربوي، الأمر الذي يجعلنا أكثر اهتماماً بالتربية كممارسة حياتية تتحدد من خلالها أدوار الفرد المسلم.

3. خصائص النظام التربوي في الإسلام

للتربية الإسلامية خصائص تميزها عن غيرها تهدف إلى الارتقاء بالإنسان من جميع النواحي، ولهذا تشمل التربية مختلف صور التفاعل الإيجابي كنظام يجمع بين العلم والأخلاق والإيمان والعمل، لتحقيق توازن اجتماعي، فالنظام في مفهومه العلمي نظام يتكون من عناصر ومكونات وعلاقات تستمد مكوناتها من النظم السوسيوثقافية والاقتصادية والاجتماعية لبلورة غايات التربية⁽⁴⁾ ولهذا تميز النظام التربوي في الإسلام بخصائص من أهمها:

1.3. الرؤية الربانية:

والمقصود من ذلك أن النظام التربوي مستمد من كتاب الله والسنة النبوية لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁽⁵⁾ رباني من حيث المصدر ومن حيث الغاية، ومنهج اختص به هذه الأمة

(1) وطقة علي أسعد، شهاب علي جاسم: علم الاجتماع المدرسي، بنية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، ص43.

(2) المرجع نفسه: ص40

(3) الديهي محمد الدين إسماعيل: الإعلام التربوي الحديث، ص 197.

(4) المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، وحدة النظام التربوي سند تكويني لفائدة مديري مؤسسات التعليم الثانوي والإكمالي، ص05

(5) سورة النجم: الآية 2، 3

رحمة منه وهداية لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾ فالوحي الإلهي حدد هذا النظام وبين أشكاله وأركانه مهما اختلف الزمان وتغير المكان، فشرعة الله واحدة، والنظام التربوي أحد مظاهر هذه الربانية تظهر فيه علاقة الإنسان بربه تحت مسمى العبودية والتوحيد.

2.3. التكاملية:

تغلب على النظام التربوي الإسلامي نظرة التكامل المعرفي والروحي لإحداث حياة متوازنة، لأن التكامل تتمثل فيه كل قوى الإنسان الروحية والعقلية والجسمية، غايته إقامة بناء ثقافي حضاري يؤسس لنظريته الأنطولوجية، فالإسلام جاء مخاطبا للعقل تأملا، وللجسد عناية، وللروح طهارة.

3.3. الاستمرارية:

المميز للنظام التربوي الإسلامي أنه حاضر في كل أطوار الحضارة الإسلامية، إذ يعد عملية تنمية تؤسس للترباط والتماسك بين الأجيال، والمحافظة على هذا النظام كأسلوب حياتي يضمن تفاعلا إيجابيا مع متغيرات الراهن.

4.3. التجدد:

يتعلق التجدد بالاجتهاد واستيعاب كل ما هو جديد وطارئ على المجتمع الإسلامي وهو "تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه الدين"⁽²⁾ والواجب في ذلك الانفتاح على هذه المستجدات لمواكبة تطورات العصر، في مقابل الحفاظ على الخصوصية الثقافية والاستفادة من التقنية في تطوير المنظومة الإسلامية.

5.3. الإنسانية:

في الإسلام تجلي لمعنى الإنسان، من حيث التوجيه والتشريع، فكل ما جاء فيه يمثل الإنسان النموذج الذي تتكامل فيه صورة الأخلاق الربانية والإنسانية التي تدعو لها المنظومة التربوية القائمة على مبادئ العدل والمساواة والحرية، ويظهر ذلك كتعامل دينوي بين الأوامر والنواهي وبين الحقوق والواجبات. هذه الخصائص وغيرها في النظام التربوي الإسلامي وتطبيقه كمنهج تربوي تفرضه الظروف الحالية التي نمر بها، يحتاج إلى تجديد الأسلوب والانفتاح على الآخر واكتساب القدرة على التفاعل معه بهدف مساهمة التغيير الحاصل داخل المجتمعات المسلمة وما طرأ عليها من مستجدات الحضارة الغربية، ومحاولة إيجاد نشئ له القدرة على تحمل المسؤولية وإعادة النهوض بالإسلام وفق نموذج موحد.

(1) سورة يونس: الآية 57

(2) الزبيدي طه أحمد :: مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي ومهاراته، ص 27

4. أزمة الفكر التربوي في الإسلام

بين النظام الإسلامي والفكر التربوي علاقة تكاملية تراعي ما وصل إليه الإسلام من ضعف لأسباب داخلية وأخرى خارجية، ومحاولة البحث عن البديل سواء من داخل التراث الإسلامي أو من معاصرة ما أفرزته الحضارة الغربية إما انتقادًا وإما إتباعًا قصد تجاوز إشكالية التأخر.

ننتقل من قاعدة مفادها أن النموذج تعلق بالأصل وارتباط بالعصر، ندرك به مدى قابلية الفرد المسلم للتغيير واستيعاب ما يحدث على أرض الواقع من تحولات، لأن الموضوع المركزي هو مراعاة الموروث الثقافي بمختلف أبعاده واحترامه كإنجاز خَلَفَهُ عقل أسلافنا نكسبه كإبداع دون الوقوع في عائق الإتياع، ونقف موقف الناقد المستفيد من موروثة المُمَحَّص لعلومه، نحافظ على الثوابت لنجددها ونؤكد انتمائنا لها

وهو خطوة لرسم معالم مسار حدائي صحيح ابتداءً بتحديث الأخلاق يليه تحديث الأفكار ثم تحديث المؤسسات فتحديث الآلات⁽¹⁾

هذه الخطوة بإمكانها إبداع آليات نابعة من مدى وعينا بإشكالية العجز التربوي الذي وصلنا إليه بمختلف مستوياته، والتربية كعطاء عقلي وفعل أخلاقي على مستوى الفرد والأمة، كان لها الأثر الكبير في صياغة الشخصية الإسلامية، ولكن الناظر إلى واقعها اليوم يلمح توصيف الأزمة أكثر من الاشتغال على تطوير الفكر التربوي، والوقوف وقفة موضوعية مع هذا المنجز وإصلاحه وفق منهج يقود إلى النمو والتقدم، حتى نتمكن من مواجهة الغزو الفكري الذي خلخل بعض أجزاء المنظومة التربوية وذلك راجع إلى إشكاليات يجب توضيحها:

1.4.. مشكلة المعرفة:

من المعروف أن المعرفة تتنوع بتنوع الإشكاليات وتختلف باختلاف الإيديولوجيات من شأنها تنمية الجانب المعرفي للإنسان عن طريق تزويده بالمعلومات والمفاهيم والحقائق فضلًا عن ارتباطها بطريقة التفكير ومنهج البحث وأساليب الربط والاستنتاج والتحليل والنقد⁽²⁾ وهي مؤشرًا نقيس به نوعية النظام التربوي، وتعزيزه كمنهج علمي يقتضي تكاملاً معرفياً بإمكانه تجاوز الخلاف الإبيستمولوجي في مجال الفكر التربوي ومواجهة القصور المنهجي في النظام التعليمي.

ظهرت إشكالية المعرفة بعدما أصيب العقل العربي بالعجز أمام الإنتاج الغربي في حين عرف النظام المعرفي الإسلامي بعض التشوهات، وظهور ثنائيات بين ما هو علماني وديني، إبداع وتقليد، أصالة ومعاصرة، اقتصر من خلالها جهود مفكرينا على هذه الإزدواجيات دون التنبيه على أن الفكر الإسلامي شمولي متعدد القيم.

(1) عبد الرحمن طه: روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ص 55

(2) علي سعيد إسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ص 14

2.4. المشكلة الاستعمارية:

تتعلق هذه المشكلة بسياسة الحروب الصليبية وما جرت به من تمزق للحضارة الإسلامية، بعدما استهدفت المعالم التربوية في البلاد العربية، كالزيتونة والأزهر والقدس الشريف، والعبث بالتراث الإسلامي ونشر مفاهيم خاطئة عن الإسلام كالقتل في مقابل الجهاد، التطرف، العنف وغيرها من المفاهيم. وتظهر هذه المشكلة أيضا في سياسة التغريب والنزوع الأعلى للمنتج الغربي مما فرض هيمنة استعمارية غير مباشرة، ظهرت في الغزو الثقافي⁽¹⁾ الذي زكته بعض النخب المثقفة المنهرة بالعقل الغربي.

3.4. المشكلة الأخلاقية:

إصلاح المنظومة التربوية أمر متعلق بالبناء السليم للقيم الأخلاقية في تشكّل وعي المجتمع ومساهمة في عملية التنشئة المجتمعية، باعتبار التربية مكون معرفي يسعى إلى تبين وإدراك هذه القيم واستحداث مناهج تعليمية تعمل على نقل الأخلاق كفكر إسلامي يتوافق مع المبادئ الإنسانية، "والتربية الأخلاقية كفرع معرفي دورها الأساسي تنمية شخصية الفرد الإدراكية والانفعالية والوجدانية والجسدية، ويتطلب منها العمل على بناء الإنسان وغرس القيم الأخلاقية على اختلاف المراحل التعليمية"⁽²⁾.

5.4. مشكلة التخلف:

يحيلنا الحديث عن التخلف إلى الوجهة السلبية التي تقودنا إليها أنظمة التعليم عندنا، فبدلاً من أن يقوم بدوره الفعال في السيطرة على الواقع المعرفي العربي والنهوض بالوعي الفكري، أصبح أداة سهلة في تغييب هذا الوعي وتزييفه.

حركة إصلاح الفكر التربوي العربي تبنتها أنظمة سياسية ووجوه فكرية، كانت سبباً في بقاءنا داخل دائرة التخلف "لأنها أزمة تركيب ذهني غير منهجي وغير معرفي ويصعب الخروج على هذا النوع من الأزمات المأزقية الفكرية والمسلكية ما لم تتطور البنية العقلية نفسها"⁽³⁾ فلا تكامل بين المعارف، ولا اتفاق بين المناهج، تغييب الموضوعية لتحل محلها الذاتية كسيطرة إيديولوجية في فعل التنشئة، مما خلق أزمة تربوية تؤكد على أن السياسات التربوية عجزت في الربط بين ما يهدف إليه التعليم وبين تطبيقاته التعليمية، واختلال هذه المعادلة راجع إلى عدم الأخذ بمنهج ذاتي منبثق من الروح التربوية للبلاد الإسلامية، متوافق مع حاجاتها ومقوماتها الفكرية والتاريخية وفق رؤية موضوعية من شأنها أن تحقق نقله معرفية.

(1) الغزو الثقافي: يعتبر أحد أوجه الاستعمار الغير مباشر أخطر ما فيه أنه يستهدف ثقافة الأمة لتدمير ما يحتويه الإنسان المسلم من قيم الإيمان والحق والإنسانية وإعادة تعبئته بقيم مادية فاسدة وهو تابع لعملة الثقافة التي تسعى إلى قهر الثقافات لصالح الثقافة الأقوى. زينب قريوة، لمن هماش: رهانات تحصين الهوية في ظل غزو العملة الثقافية، ص 28.

(2) النوي الطاهر: المضامين المعرفية لمناهج التربية المدنية، ص 109

(3) حاج حمد أبو القاسم: الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، قضايا إسلامية معاصرة، ص 19

هذه المشاكل وأخرى جعلت الفكر التربوي قائما على التعارض يعاني أزمتا متكررة ومتراكمة لا زالت حاضرة في مناهجنا التعليمية.

5. التربية كروية فلسفية (محمد البشير الإبراهيمي ومالك بن نبي)

إن الأزمة التي تعيشها التربية العربية تميزت بالجمود ومحدودية الإنتاج حتى أصبح تقدم هذه المجتمعات مرهون بمستوى التعليم، والسبب في ذلك راجع لغياب الرؤية النقدية داخل النظام التربوي، مما جعله يعيش حالة تصادم مع الصيرورة الحداثية، فظل يبحث عن وجوده ضمن رؤية جديدة قد تتمكن بها من السيطرة على هذا الوضع في تحديد مساراته.

من بين الرؤى والمشاريع الفلسفية التي بحثت في عمق الأزمة نقتصر على شخصيتين هما الأقرب لنا معرفيا في مخاطبتنا كنشئ يعاني العجز في كل المستويات، البشير الإبراهيمي (ت 1965م) الذي يدعوا لإصلاح التعليم ومالك بن نبي (ت 1973م) الذي يرى في المربي المعلم صلاح المجتمع بأكمله.

1.5. محمد البشير الإبراهيمي:

يعد الإبراهيمي مصلحًا اجتماعيًا يقوم مشروعه الفكري على إعادة الاعتبار للمدرسة العربية كضامن لاستمرار الرسالة الدينية، التي تقوم على قيم الحق والخير، إذ يرى في فعل التعليم تمثل للثقافة الإسلامية وإحياء للدين وتجديد لأصول الهوية الإسلامية استنادا إلى النص الديني المؤسس للحضارة⁽¹⁾. اعتمد الإبراهيمي في تشكيل فكره التربوي على مرجعيات ثلاث (الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر ووطننا) فالمرجعية الدينية مصدر روعي من شأنه أن يحفظ ثوابت الأمة إضافة إلى أنها مرحلة مبكرة في تربية نشئ صالح وصنع توازن اجتماعي يقوم على أسس روحية، والعربية إشارة إلى القومية والمصير المشترك لكل من يتحدث العربية، حيث ربط الإبراهيمي بين اللغة والدين وجعله مرجعا تقوم عليه اللغة كفعل تواصل، أما المرجعية الوطنية فهي رمز للحرية والتعبير عن روح الانتماء لهذا الوطن.

لقد أراد الإبراهيمي من هذه التربية المتشعبة بهذه المرجعيات صناعة جيل محصن من كل المخاطر التي تواجهه، ولهذا نجده يركز على التربية كأصل والتعليم كفرع، فيقول "واحرصُوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم وهي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت خيبته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب من نقص في الأخلاق منها كانت نتيجة الخيبة ومنها كان الإخفاق"⁽²⁾

من خلال هذه الوصية نلمح إيجاد شخصية متكاملة فكرا وخلقا تجمع بين التعليم كوسيلة والتربية كغاية، وقادرة على صنع التغيير الذي ينشده المجتمع، وهذا هو الأثر الذي يريده الإبراهيمي من إصلاحاته التي جمع فيها بين التربية والتعليم والمحتوى العلمي قاصد بذلك ميلاد مجتمع جديد.

(1) عمارة محمد: من أعلام الإحياء الإسلامي، ص 137-138

(2) الإبراهيمي محمد البشير: آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمعه: أحمد طالب الإبراهيمي، ص 26

2.5. مالك بن نبي:

تدخل التربية عند مالك بن نبي ضمن مشروع الحضارة ومساهمة الإنسان في التغيير والباحث عن التربية كمشروع إصلاحي منفصل لا يجده إلا في إطار شبكة من العلاقات الاجتماعية، تميز فيها مفكرنا بنظرة إستشرافية تحفظ بها الأمة هويتها ووجودها ومواجهة المشكلات على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

يؤكد بن نبي أننا لا نملك فكرا تربويا خاصا بنا، واقتصرت جهود سياستنا على المنتج الغربي دون تطويره حسب خصوصياتنا، ولا ينفي ذلك وجود التكامل من أجل فكر تربوي حديث يجمع بين أصالة الانتماء ومعاصرة التقنية في العملية التربوية، والاتساق مع طبيعة مجتمعنا وتكوينه الثقافي وإمكاناته المادية.

لا تنفصل التربية عن الحركة التاريخية " المتعلقة بالفكرة الدينية التي يرى فيها مالك بن نبي الأثر التربوي الذي من شأنه أن يحدد ملامح الفرد بصورة إيجابية في شبكة من العلاقات القادرة على توحيد الطاقات في صورة نشاط مشترك قائم في التربية الاجتماعية"⁽¹⁾، إذ التربية تعلق ب(الإنسان) كمركب حضاري وناقل للأفكار التربوية من مجتمع لآخر يشترط مناخا مناسباً يساعد على تنمية الطاقات وتوجيه الأدوار (عامل التراب) كل فرد حسب تخصصه وإمكاناته ولا يقتصر ذلك على مراحل عمرية محددة بل كل حياة الإنسان تعلم وعطاء (عامل الوقت) وفي هذا يقول مالك بن نبي: "التربية هي إعداد الفرد وتشكيل مهاراته وقيمه واتجاهاته، بما ينسجم وحاجات البناء، إنها أيضا تربية للمجتمع تتأثر بالبناء القائم وتؤثر فيه في حاله إعادة البناء"⁽²⁾ بمعنى أن التربية مجال متعلق بعالم الأشخاص من حيث اعتبارها نمط سلوكي يحدث تغييرا اجتماعيا ومتعلقة بعالم الأفكار كثقافة مشتركة توجه العملية التربوية والجامع بينهما البعد الأخلاقي كتحصين للفكر التربوي يضمن فعالية المنظومة التعليمية.

هذه الرؤى الفلسفية وغيرها إنما هي إصلاح لواقع تمثلت فيه كل مظاهر الانحطاط ومحاولة صناعة شخصية متوازنة حاول كل من البشير الإبراهيمي ومالك بن نبي صياغتها ضمن مشروع الحضارة، تتكامل فيها منجزات الماضي مع مستجدات الحاضر، إذ يتفق كل منهما على أن صلاح الفكر التربوي من صلاح الأخلاق وفعاليتها في نهضة الأمة وانخراطها في صيرورة التحضر، فيما يبقى السؤال مطروحا هل نمتلك تربية واعية تحقق مطلب التجديد؟

6. أفق التجديد التربوي وتفعيل القيم

يتضح أفق التجديد بمدى وعيينا بالأزمة التربوية والقدرة على تجاوزها، ولا نبالغ إن قلنا إن سبب العجز راجع للتبعية الغربية تحت شعار عولمة الفكر والثقافة، في مقابل حالة الاغتراب⁽³⁾ مع موروثنا

(1) بن نبي مالك: مشكلات الحضارة، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصابور شاهين، ص 81

(2) الصباغ علي: معالم تربوية في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، ص 09

(3) الاغتراب: يشير هذا المصطلح رغم تعدد استعمالاته واختلاف تعاريفه الى نوع من الاضطراب في علاقة الفرد بنفسه وبالعالم بسبب فقدان الهدف والقيمة مما يعطل الحركة الديناميكية ما بين الذات والواقع. يوسف محمد عباس: الاغتراب والابداع الفني، ص ص 14-15.

الإسلامي الروحي المتمثل في القرآن الكريم وسنة النبي الشريف، مما خلق حالة من الترنح بين عدم التجاوب مع الحركة الحضارية وعدم القدرة على التكيف مع الظروف المحيطة بنا.

يمثل الفكر التربوي محتوى يعكس صورة الإسلام الإنسانية ونظرتها إلى الكون والحياة كناموس عام مرتبط بحيوية الإنسان أو ركوده، يتجدد بتغير المجتمعات ويتغير بتجدها والتجديد هنا "عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وتطويره وفقا للفهم الزمني الذي يعي حاجات العصر...فالتجديد خطاب نهضوي يستهدف البنية الفكرية لتبلي جميع حاجات الإنسان المعاصر"⁽¹⁾

خلق زمن العولمة كمولود للنظام العالمي الموحد إفرازات حدائية غيرت منهج الإنسانية فكرا وعملا "وأنتجت عقلا ماديا دفع بالذات الإنسانية إلى الانخراط في التوجه الطبيعي والارتباط بالحاجات البيولوجية"⁽²⁾، وأصبحت القيم تقاس بالنفع والمصلحة وغيب عنصر المسؤولية والالتزام الأخلاقي المبني على احترام الاختلاف العقدي والاجتماعي.

واقع الأخلاق في مجتمعنا لا يحتاج إلى مكابرة إذا قلنا إنها وجود ذهني قائم في ذهنية كل مسلم منذ نشأته الأولى، بينما كتجسد خارجي لا نجد لها تفعيل وسط مجتمعاتنا فلا نحن نلتزم بها ولا تمثلناها في تعاملاتنا اليومية.

ترتب عن ذلك انهيار المنظومة الأخلاقية واختلال العلاقة التواصلية بين أفراد المجتمع، وظلت المبادئ الأخلاقية مجرد دروس للوعظ والإرشاد داخل الخطاب الديني، أو مجرد تزكية تتعلق بذوق الفرد واعتزاله في أخلاق الزهد، اختلطت القيم مع المصالح مما خلق صراع ناتج عن غياب نسق أخلاقي يضمن تفعيل هذه القيم

وكمحاولة لإعادة التوازن الاجتماعي في تجسيد مفهوم الأخلاق، وجب تفعيلها من خلال الآتي:
-الأخلاق فطرة، وهذا وجه الثقة فيها، أنها تعاقد إلهي جبلنا عليه كميثاق صادر عن الشارع موافقة للشرع في جملة من الأوامر والنواهي تأتي أفعال الإنسان فيها نفعا يتعدى نفسه وأسرته ووطنه الى العالم بأسره⁽³⁾، وما جاءت الرسالة المحمدية إلا من أجل تأكيدها لقوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾⁽⁴⁾
كدستور تأسيسي تحدد فيه درجة إنسانية الإنسان القائمة على حسن الخلق المبني على الإحسان والإيمان

-الأخلاق نسق، يفترض تفعيل الأخلاق كنسف كلي يتجسد في الأفعال وربطها بطرق الحياة الجديدة، في شبكة من العلاقات تمهد لقانون أخلاقي عام يحفظ للأمة هويتها.

(1) شبار سعيد: مختصر الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ص 16

(2) ربوح بشير: مطارحات في العقل والتنوير، عبد الوهاب المسيري أنموذجا، ص 236

(3) عبد الرحمن طه: سؤال الأخلاق، ص 158

(4) البخاري: رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث 273

-الأخلاق مستويات، لابد من التفريق بين القيم الثابتة وأخرى متغيرة، تظهر في أعراف المجتمع حسب ما يطرأ عليه من تحولات وهي ناقصة تشترط الجزء الثابت من أجل ضمان وجودها، أي أن المستوى الأول أخلاق عميقة تجمع بين القلب والعقل، "إذ العقل فعل قلبي صريح وكل فعل قلبي هو فعل خلقي تتحدد به إنسانية صاحبه ولا عبرة بحكم على الفعل لا يراعي حصول الثمرة الخلقية"⁽¹⁾

-الأخلاق حوار، يعد سؤال الأخلاق في الفلسفة بوابة يجب الدخول منها من أجل الأخلاق اجرائية ونقد واقعها قصد ترشيد الفعل الإنساني "كفعل حقيقي ينخرط في (ممارسة ترمي إلى مقاومة الوضع الراهن بكل تعقيداته ومفاعيله المختلفة"⁽²⁾ إذ ثنائية الأخلاق والحوار تعد تأسيسا لمبادئ أخلاقية تغير القيم ولا نغيها توجه أخلاقيات المجتمع والسياسة والاقتصاد إلى طور الاكتمال والإنتاج.

هذه التدرجات وأخرى في تفعيل القيم إنما المقصد منها تحقيق تجديد يتوافق ومتطلبات التنمية، وإعداد إنسان واعي تكتمل فيه معالم الإنسانية والتحلي بروح المسؤولية.

ولهذا يقتضي التجديد التربوي تفعيل القيم داخل مؤسساته مهما كان تخصصها، هدفه الرئيسي إنماء الفرد وتمكينه من معالجة المشكلات والتغلب عليها، فإذا كان التعليم أساس تقدم المجتمعات المنتجة، فإن ذلك نابع من اهتمامها بالإنسان كصانع لهذا التقدم.

التعايش في عالم سريع التغير يتطلب استحداث منهج يجعل الواقع أكثر توازنا يربط بين الذات الإنسانية ومنتجاتها الحضارية، في مقابل تحديد سياسة ممكنة التحقق تخرج مجتمعاتنا من هذا العبث التعليمي الذي انجر عنه فساد أخلاقي جسده مؤسساتنا التعليمية وهيكلنا الإدارية في إقصاء دور الأخلاق.

التجديد الذي نريده هنا هو إيمان بقدرات كفاءاتنا المهمشة واستعادة لمكانة المثقف المغيبة نفتقد لترتيب الأولويات ولا نغير اهتماما للمسؤوليات، مما خلق حالة من الفوضى والركود ناتجة عن غياب المسائلة النقدية لثقافتنا التربوية.

7. مهمة سؤال النقد في الخطاب التربوي الإسلامي

الرسالة التربوية في أصلها متعلقة بتجديد الإنسان وصناعة تاريخه، وسؤال النقد يعبر عن لحظة استفاقة الوعي في تشريعه للخطاب التربوي، وتوضيح العلاقة بين الثقافة كخلفية تربوية تتعين في مستوى الخطاب والمؤسسة التعليمية كتوصيف لهذا الخطاب.

يشكل النص مدارا معرفيا قابلا للنقد والتمحيص لما يحتويه من مضامين ثقافية مستوردة أكدت هشاشة المنظومة التعليمية في إيصال الرسالة التربوية، إذ المناهج الدراسية المشكلة للنص تعتمد على

(1) عبد الرحمن طه: سؤال الأخلاق، المصدر السابق، ص 154.

(2) رباح بشير: فلسفة الفعل مدخل معرفي وتقصي مفهومي، ص 15

التقييم دون التقويم، المذاكرة والاسترجاع دون الفهم والتصحيح، مما لا يتيح مجالاً للتفكير النقدي، ونتيجة ذلك كانت إنتاج عقل تبريري يفتقد أدوات نقدية في إيصال المعلومة العلمية.

الإصلاح التربوي اليوم الذي تعتمد سياستنا العربية لا يتناسب وثقافتنا وأعرافنا ومنطلقاتنا لهذا وجب إعادة النظر في الوسائل والغايات.

إنَّ مهمة سؤال النقد في خطابنا التربوي إنَّما يتمثل في الكشف عن أسباب هذا التراجع واختلاله مع البيئة الثقافية، إنَّنا في أشد الحاجة إلى مراجعة شاملة لشؤون التربية التي يعوزها الضبط والالتزام بأخلاق المعرفة، والتخطيط لتربية متماسكة، يتطلب وجود سؤال النقد داخل مضامينها وتشخيص الأزمة في سياقها السيسيوثقافي، ولهذا يجب أن يكون هذا الخطاب شمولياً ينظر للجزء من خلال الكل، ويبحث في التربية كحقل مترابط مع الأوضاع الاقتصادية والسياسية، وناظم لكل المجتمعي إنطلاقاً من المدرسة كمكون ثقافي يترتب عليه نشر القيم والمبادئ الأخلاقية المتشعبة بروح الإنسانية وخلق تفاعل تنموي شامل متجاوز للأزمة.

8. خاتمة

هذا البحث مجرد تقصي لوضعية الخطاب التربوي المحتكم لسياسات ضعيفة أردنا من خلال سؤال النقد صنع حراك ثقافي يجدد للتربية مكانتها العلمية داخل الوسط التعليمي والاجتماعي، والبحث عن نموذج وظيفي يتسم بالفعالية والتكاملية في خلق نظام تربوي يقود للتنمية ويوفر أسس حياة تقوم على مفاهيم الحرية والإنسانية، وإن كانت التربية أوسع المجالات اجتهدا بحكم مركزية العامل الإنساني فيها، إلا أنها الأقرب لإحداث تغيير يتجاوب مع تطلعات المجتمع وطموحاته في عالم يعج بالثورات المعرفية، نعتبره محفزاً للإندماج معه بمنطق حوار يضمن خصوصية الشخصية الإسلامية كفضاء منفتح ناتج عن جملة من المسائل النقدية اتجه الواقع الثقافي أين ينتهي النقد إلى خلق اجتهاد معرفي ناظم للفعالية الحضارية.

9. قائمة المراجع

- الإبراهيمي محمد البشير (1997): آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمعه: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج03، دب، دار الغرب الإسلامي.
- البخاري: رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث 273.
- بن نبي مالك (1976): مشكلات الحضارة، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصابور شاهين، ط03، دمشق، سوريا دار الفكر.
- حاج حمد أبو القاسم (2004): الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، لبنان، دار الهادي للنشر.
- الديبي محمد الدين إسماعيل (2015): الإعلام التربوي الحديث، ط01، الإسكندرية، مصر، مكتبة الوفاء القانونية.

- ربوح بشير(2012): مطارحات في العقل والتنوير، عبد الوهاب المسيري أنموذجا، ط01، بيروت لبنان، دار الفارابي للنشر.
- ربوح بشير(2019): فلسفة الفعل مدخل معرفي وتقصي مفهومي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد04، المجلد16، الجزائر، جامعة سطيف.
- الزيدي طه أحمد (2016): مقومات التجديد والوسطية في الخطاب الإسلامي ومهاراته، ط01، بغداد، دار النفائس للنشر.
- زينب قريوة، لمين هماش (2016): رهانات تحصين الهوية في ظل غزو العولمة الثقافية، مجلة العلوم الانسانية، عدد06، الجزائر، جامعة أم البواقي
- سال محمد رنا (2005): التربية والتعليم في عصر الرسالة، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، العراق، كلية الآداب، جامعة الموصل
- شبار سعيد (2016): مختصر الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ط01، الأردن، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- الصباغ علي: معالم تربوية في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد01، الجزائر، كلية علم النفس وعلوم التربية، جامعة قسنطينة02.
- عبد الرحمن طه (2000): سؤال الأخلاق، ط01، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحمن طه (2006): روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط01، المغرب، المركز الثقافي العربي.
- علي سعيد إسماعيل (1995): فلسفات تربوية معاصرة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.
- عمارة محمد (2006): من أعلام الإحياء الإسلامي، ط01، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدولية.
- المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم(2005): وحدة النظام التربوي سند تكويني لفائدة مديري مؤسسات التعليم الثانوي والإكمالي، الجزائر، المعهد الوطني.
- النوي الطاهر(2013): المضامين المعرفية لمناهج التربية المدنية، دكتوراه غير منشورة، بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر.
- وطفة علي أسعد، شهاب علي جاسم (2003): علم الاجتماع المدرسي، بنية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، ط01، الكويت، كلية التربية، جامعة الكويت.
- يوسف محمد عباس (2004): الاغتراب والابداع الفني، القاهرة، دار الغريب للطباعة والنشر.

• 5. Bibliography List

- Abdel-Rahman, Taha (2000): The Question of Ethics, 1st edition, Morocco, The Arab Cultural Center.
- Abdel-Rahman, Taha (2006): The Spirit of Modernity: An Introduction to Establishing Islamic Modernity, 1st edition, Morocco, The Arab Cultural Center.
- Al-Bukhari: Narrated by Al-Bukhari in "Al-Adab Al-Mufrad", Hadith number 273.
- Al-Dehi, Mohamed Al-Din Ismail (2015): Modern Educational Media, 1st edition, Alexandria, Egypt, Al-Wafa Legal Library.

- Ali, Said Ismail (1995): Contemporary Educational Philosophies, Kuwait, World of Knowledge Series.
- Al-Nawi, Taher (2013): The Cognitive Content of Civic Education Curricula, Unpublished Ph.D. Thesis, Biskra, Faculty of Humanities and Social Sciences, Mohamed Khider University.
- Al-Sabbagh, Ali: Educational Landmarks in the Civilizational Thought of Malek Bennabi, Jil Journal of Humanities and Social Sciences, Issue 1, Algeria, Faculty of Psychology and Educational Sciences, Constantine 2 University.
- Al-Zaydi, Taha Ahmed (2016): The Elements of Renewal and Moderation in Islamic Discourse and Its Skills, 1st edition, Baghdad, Dar Al-Nafaees for Publishing.
- Amara, Mohamed (2006): Prominent Figures in Islamic Revival, 1st edition, Cairo, Egypt, Shorouk International Library.
- Bennabi, Malek (1976): The Problems of Civilization, The Birth of a Society, The Network of Social Relations, Translated by: Abdel-Sabour Shaheen, 3rd edition, Damascus, Syria, Dar Al-Fikr.
- Hajj Hamad, Abu Al-Qasim (2004): The Intellectual and Civilizational Crisis in the Contemporary Arab Reality, Contemporary Islamic Issues, Beirut, Lebanon, Dar Al-Hadi for Publishing.
- Ibrahim, Mohamed Bashir (1997): The Works of Mohamed Bashir Ibrahim, Compiled by: Ahmed Taleb Ibrahim, 1st edition, Volume 3, Dar Al-Gharb Al-Islami.
- National Institute for the Training of Educational Staff and Their Professional Development (2005): Unit of the Educational System: A Training Reference for Secondary and Intermediate School Principals, Algeria, National Institute.
- Rabouh, Bachir (2012): Reflections on Reason and Enlightenment, Abdel-Wahab El-Messiri as a Model, 1st edition, Beirut, Lebanon, Dar Al-Farabi for Publishing.
- Rabouh, Bachir (2019): The Philosophy of Action: A Cognitive Approach and Conceptual Investigation, Journal of Arts and Social Sciences, Issue 4, Volume 16, Algeria, Setif University.
- Sal, Mohamed Rana (2005): Education and Teaching in the Era of the Message, Master's Thesis in Islamic History, Iraq, Faculty of Arts, University of Mosul.
- Shabbar, Said (2016): A Concise Guide to Ijtihad and Renewal in Contemporary Islamic Thought, 1st edition, Jordan, Higher Institute of Islamic Thought.
- Watfa, Ali As'ad, Shihab, Ali Jassim (2003): Sociology of Education: The Structure of the School Phenomenon and Its Social Function, 1st edition, Kuwait, Faculty of Education, Kuwait University.
- Youssef, Mohamed Abbas (2004): Alienation and Artistic Creativity, Cairo, Dar Al-Ghareeb for Printing and Publishing.
- Zaynab Qariwah, Lamine Hamaash (2016): The Challenges of Protecting Identity in Light of the Invasion of Cultural Globalization, Journal of Humanities Sciences, Issue 6, Algeria, University of Umm El-Bouaghi.